جاء الإسلام فتبدلت المساوئ محاسن والرذائل فضائل





سعيد مصطفى دياب

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 8/8/2024 ميلادي - 3/2/1446 هجري

الزيارات: 883

جاء الإسلام

فتبدلت المساوئ محاسن والرذائل فضائل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: 86].

تأمل ذلك الرقي الرائع، وتلك الآداب العظيمة، وتلك الشمائل الشريفة التي جاء بها الإسلام، فتبدلت بها تلك الأمة التي نشأت في تلك الصحراء المترامية الأطراف، البعيدة كل البعد عن المدنية والحضارة، بل كانت تعتاش على السلب والنهب والإغارة على من حولهم؛ كما قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، للنَّجَاشِيِّ: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ...)[1].

فلما جاء الإسلام تبدل من الناس كل شيء حتى تبدلت المساوئ محاسن، والرذائل فضائل، والشر خيرًا والمنكر معروفًا، والغلظة رقة، والفظاظة رحمة ورأفة، حتى انسلخ أهل الإيمان من جاهليتهم، وطرحوها بكل ما فيها وراءهم ظهريًّا.

وابتعث الله أمة لم تعرف لها البشرية مثيلًا، حملوا مشاعل الإيمان فأضاءت جنبات الكون بنور الإيمان بعدما ظلت في غياهب الكفر قرونًا متطاولة، وحرروا العباد من عبودية الخلق، بعدما ظلت البشرية ترسف في أغلال الجهل أحقابًا متعاقبة، وما من فضيلة مرت على البشرية إلا ووجد في تلك الأمة منها أعدادًا متكاثرة، وبنى بهم الإسلام بفضل تعاليمه السامية مجدًا بلغ من العلا مبلغًا يسامى الثريَّا، ويسامق الجوزاء، ويطاول السماء.

ومن تلك الآداب التي رفع الله تعالى بها شأن الأمة بعد الإيمان وجوب رد التحية بأحسن منها، أو ردَّها كما هي، ومن هذه الآداب ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»[2].

ووعد الله تعالى عليها بالأجر الجزيل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وفصل لنا آداب السلام تفصيلًا، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»[3].

فتأمل ذلك الأثر العظيم لتحية الإسلام التي تعني: أنت سالم مني، وأرجو لك رحمة الله، بعد أن كان يلقى الرجل الرجل، فلا يفترقان إلا وأحدهما قتيل سليب! حتى قال الشاعر:

عَوَى الذِّئبُ فَاسْتَأنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوَى= وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

---

[1] سيرة ابن هشام (1/ 336)

[2] رواه البخاري- كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ تَسْلِيمِ الرَّاكِبِ عَلَى الْمَاشِي، حديث رقم: 6232، ومسلم- كِتَابُ السَّلَامِ، بَابٌ: يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ، حديث رقم: 2160

[3] رواه أبو داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ كَيْفَ السَّلَامُ؟ حديث رقم: 5195، بسند صحيح.

حقوق النشر محفوظة © 1446هـ / 2024م لموقع الألوكة
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 20/5/1446هـ - الساعة: 13:57